ياسين بوذراع نوري

# عازف المندولين

شعر

دار الماهر للطباعة والنشر والتوزيع

# إهداء

إلى البسطاء مثلي

# حكمة الثور

فررتُ بجلدي
فررتُ إلى أبعد الأكماتِ
السماء تعلّق قمصانها الحمر فوق حبال الغروبِ
دم يتناضح في الأفقِ
هذي الحجارة مرصوفةٌ
أم هواء ثقيل يعبئ لحم الشوارع في علبة من نحاسٍ؟
وظلّي الذي يتمسّح في الطينِ
يعقلني كلما همّت الخطواتُ
(انتظرْ فهنا حلمٌ لم يمت بعدُ)
كان الهواء المدجّج بالملح يخنقني
رحت أركضُ، أركضُ، أركضُ
لا أتلفّت خلفي

* * *

فررتُ بجلدي
الشوارع مذأبةٌ...
أرأيتَ إذا حَمَلٌ تاه عنه القطيعُ

جنود يعودون من أرض معركةٍ يحملون شواهدهم؟
وحده الموتُ يخرج من ساحة الحرب منتصرًا
واقفًا كقراصنة البحرِ
يسحب قتلاه، يجمعهم
ويعلّقهم خرزًا باردًا للتشفّي

❊ ❊ ❊

فررتُ بجلدي
وها أنا في عتمة الكهفِ
ترسمني حكمة الثور نصف إله يطارده الوقتُ
إني الطريدة منذ ابتدأتُ
الحكاية مقلوبةٌ
بذرة في تراب النهايات هذا الصباحُ
لقالق تمضي لصحراء منسيّة في الجنوب البعيدِ
وحنجرة من رمالٍ
ستقتبس الآن ما لم أقله بحرفين (آهٍ)
وتفضح ضعفي

❊ ❊ ❊

فررتُ بجلدي

فررتُ إلى ركنِ مقهى
إلى كوب شاي يعطّره الزنجبيلُ
إلى حلقات النميمة بين الرفاقِ
إلى زفرات التذمّر ينفثها صاحبي في ضباب الدخانِ
إلى حبّة الأسبرينِ
إلى وابل الضحكاتِ، وقول الرفيقة (شرّ البليّة ما.....)
ثمّ تخنقها العبراتُ
إلى الماء حرًا من اللونِ، من خدع الكيمياءِ
إلى مهرة الشعراءِ
وعشب البراري
إلى البحر منتشيًا بنبيذ الدوارِ
إلى قارب هو كلّ الشواطئ واليابسه
إلى موجة عابسه
فررتُ ... فررتُ ... فررتُ
ولكنّني واقفٌ..

# تلّ الرّيح

بابي على الريح مفتوحٌ
ونافذتي عين على الأفقِ
فالأشياء غامضةٌ
شمس نحاسية ترخي ضفيرتها في بركة الوحلِ
درب يحتسي مطرا
أرض هلاميّةٌ
طير يحطّ على الأسلاكِ – ثمّة أشجار منكّسةٌ –
فضاء مقهى ضباب التبغ يخنقهُ
جاء الشتاء أخيرًا...
جاء موعدهُ.

# صوت الطّين

تعثّرت بالدرب الصّقيلِ
تشنّجت يدي
وانتهت في الطين حزمة أوراقي
ارتميت على الإسفلتِ
ذابت مفاصلي
انحنيتُ
ولكنّي على الطين واقفٌ
أسدّ على شمسي النوافذَ
أحتمي بزنزانة خرساءَ
قلت : لعلها امتداد لهذا الليلِ
ليلٌ هلاميّ الأصابعِ
كلما فتحت له بابا أناخ بأحداقي
الظّلال التي في الأفق بعض حمائمي
الغمام الذي يصطفّ في بئر أعماقي
وساقي التي في الطين تلتفّ بالساقِ...

# كل شيء على حاله

السماء التي تتمدّد فوق الرؤوسِ
السماء الصّقيلةُ
رقعة ثوب معلّقة بالمسامير في شرفة الوقتِ
شمس تسلّط بؤرتها في زجاج النوافذِ
هذا الصباح الملثّم بالغيم، لن يستقرّ على فرسٍ
سيظلّ هنالك في مربط الأفقِ
ماذا تقول محلّلة الطقسِ هذا الصباح؟
(تأخّر هذا الشتاء طويلا.. تأخّر أكثر مما انتظرتَ .. وأكثر
من رغبة الانتظار)
انطلقْ...
ليس من سببٍ للتحجر في ركن مقهى
انطلقْ...
ليس من سببٍ للتكوّر في معطف الصوفِ
يكفيكَ هذا السكون رداءً....
إذن سوف أحزم أمتعتي وأغادرُ
أحملني في ارتعاشة كفّ وأرحلُ..

كلٌّ هنا مستقرٌّ على لونهِ
فالسنابل خضراءُ
والعشب أخضرُ
والعشّ أخضرُ
سرب اللقالق ما عدت ألمحه يخرق الغيمَ
حتى العصافير مالت إلى دفء أعشاشها
البحر أزرق فوق احتمال الهدوءِ
القوارب تأتي محمّلة بثمار الملوحةِ
كلٌّ هنا مستقرٌّ على شكلهِ
هل أكون الوحيد المهاجر هذا الصباحْ؟

# الأبواب

الساحة خالية إلاّ من بعض ظلال تعبر مسرعةً
كأرانب فرّت من أشراكِ الظلمةِ
تجلد ظهر الضوء السّاقط من أعمدة النورِ
فتنبتُ أثلام داكنة بين الخطوة والأخرى
النور الأدرد يمضغ لحم العتمةِ
تخذله الأسنانُ
يغصّ بها، فيذرّ سعالاً أحمر ملتهبًا
مابين الأسطح والعتباتِ
الليل الدّبق يسير على قدم عرجاءَ .. بطيئاً
أبطأ من حركات النادل
في المقهى المغروسة مثل القبر علىَ منعرجٍ..
يكشف ما تطبخه في الليل الجدرانُ.
بطاولة في الركن الأيسرِ
منهمكون بقطعة حلم يابسة خضراء كعفن الخبزِ
تعبنا...
نحن هنا مذ كان الفجر يحلّق فوق النهرِ
بأجنحة الضوضاءِ

الآن .. الليل بذروتهِ
قنديل أسود يكنس بعض غبار الضوءِ
العالق فوق الحيطان الملساءِ
يجمّده نقطا بيضاء على أكواب الشاي ونظارات النّادل....
راح يعدّ على أطراف أصابعه
يسبقه العدّادُ
يعيد الكرّةَ...
قلت: ( امهلني ...سوف أعيرك كفّا ثالثةً
لتعدّ جراحك واحدة بعد الأخرى..
لا شيء يهمّ، فمازالت في الجسد المنهكِ
أمكنة لم تبلغها أسنان المبضعِ)
في المقهى.. الأشياء مغلّفة بضبابَ التبغِ
الضحكة – لا تبدو كالضحكةِ –
فاترة، ومخضّبة بحفيف يطلع من قرص السي دي
الجدرانُ .. أحاديث النزلاء كجرعات المورفينِ
القهوة ساخنةٌ
أبخرة الشاي ترشّ طلاء أصفر فوق بياض السقفِ
المقهى قبر ممتلئ من دون شواهدَ
قال الواقف خلف ضباب سجائرهِ: (صف لي أبواب
الموت السبعة)
قلتُ:
( الباب الأول... أقدام تتدحرج نحو الحفرةِ

ليس يهمّ أكنت الحامل أم كنت المحمولَ..
اللعبة واضحةٌ.. ستغادر معصوب العينينِ.

* * *

الباب الثاني... الحفرةُ ليست عالقة بالدربِ
الحفرة فينا نائمةٌ.. كالبيضة تنتظر الإخصابَ..

* * *

الباب الثالث ... حين تغادرك امرأة ـ سكنت في القلبِ ـ
بلا سببٍ.

* * *

الرّابع... حين تغادرها.

* * *

الباب الخامسُ... هل جرّبت الوحدةَ ؟
تمشي وحدكَ ، تضحك وحدكَ ، تصرخ وحدكَ..
وحدك تقطع عرض الشارعِ

في الطرقاتِ
وفي الأسواق
كأنّك مخلوق من شيء غَير الطينِ.

* * *

الباب السادسُ... حين تكون الفرحة مثل الأحدبِ
(منكمش، معوجّ الظهرِ)
تكون الرغبة ظلّ حصان مكسور الخطواتِ.

* * *

الباب السّــ )... قاطعني شبح في الطاولة الأخرى:
(من أيّ الأبواب دخلتْ ؟)

# الساعة والحجر

لا يشير إلى موعد عقرب الساعة الكهرمان السويسريّةِ
التكتكات نعال تجوب الطريق بلا هدفٍ
جيئة وذهابا كأن الأديم امتداد لنهر الرتابةِ
تلك الثواني لفافات صوف تطيّرها الرّيح كيف تشاءُ
الدقائق راكدة كرواسب كلس بقعر الزجاجةِ
(كيف إذن يتعلّل بالوقت حين يحاول أن لا يجئ ؟
الصباح مساء أتى قبل موعدهِ
والظهيرة جمر تطاير من موقد الفحم
ناتئة صهوة الليل فوق احتمال التوازنِ)
يشبهك المقعد الخشبيُّ بقلب المدينةِ
يشبهك الظلُّ
آنية الزهر مثلك هادئة في المكان كآلهة تتحجّر في الركنِ

* * *

كان المساء صديدًا
تماما كما يلعق الطينُ ماء الغروبِ

المدى حجرٌ
ورفيقي الذي لا يكفّ عن الامتعاضِ
(بأيّ العصور شواهد تيديسَ؟)
هل كان للموت عصرٌ لتسألني أين أخفى يواقيتهُ ..؟
الموت يأتي بلا موعدٍ
هكذا، فجأةً
لن يتيح لنا فرصة لنعدّ له الشاي والقهوة المرّةَ
الخبزَ... لحم الوضائم
يأتي ويذهبُ... تلك أصابعه في رُكام الحجارةِ
تيديس موطنه الأصلُ
خطّتهُ... وخرائطه الداكناتُ
هنا يتغنّج مثل النساء الذميماتِ
يا صاحبي..... هل نُطيل المكوث هنا؟
هل ستبقى تحدّق في العقرب الكهرمانِ؟

# ظل على الأبواب

أدخل البابَ..
كان ظلّيَ يحبو كصبيّ مرقّع الأثوابِ
ساهم الوجهِ
غيمة من رمادٍ
علـّقتها يدٌ على الأبوابِ
وعلى الحائط الهزيل بدا الضوءُ نحيلا
كساحرٍ كذّابِ
لا أرى منه غير مضغة ظلّ
يقضم الليلُ نصفها كغرابٍ
ليس في البيت غير قنديل زيتٍ
أتهجّى حروفه ككتابِ
تتوارى الوجوهُ..
كيف أراها وبعينيّ غيمة من ترابِ؟
فتراجعتُ.. قلتُ: (أحمل ظلـّي فوق جلدي..
على مدى أعصابي)
كلما سرت كان يلعق دربي
وإذا غبتُ..

كان بعض غيابي
أنا كالظلّ..
كتلة من غموض تتمطّى على فراش ضبابِ
أيّنا الظلّ... ذلك النائم الآن بقربي
أم الذي بالبابِ..؟

# عناق

لا توقظ امرأة تعلّقَ هدبها بحمامة مرّت هناك بشارع في الحلم
دعها تستَرِحْ
فلعلّ غيمًا عابرًا يرخي أصابعه نثيثًا باردًا فوق النوافذِ
ربما طير ينقّر فوق ألواح الزجاجِ
لعلّ نبتتها الصغيرة تستفيق على فراشات ملوّنة تحطّ بفسحة في البيتِ
حلم مثل أزهار من النارنج تنبت في أديم الليلِ
فالضوضاء موسيقى
الشوارع نوتة لشتراوس سابحة على فالس الدانوب الأزرقِ
العطر الذي يأتي من الشرفاتِ سوناتا برائحة البنفسجِ
ضوع أغنية بغابات من الإسمنتِ
ساحرة تعلّق في طريق العشب أصدافا... قواقعَ
قد يصير الحقل منتجعا لأسماك البحيرةِ
قد يصير البحر أخضر كالحديقةِ
ربّما للون رائحة ستسمعها متى أمعنت في التحديقِ

لا تعبث إذن بضفيرة الأبنوسِ
دعها تسترحْ
واحلم كأنّك ظلها
قد يلتقي الحلمان في أعقاب منعطفٍ
هناك على جدار يسندان الظهرَ
يبتسمان حين تلفّ عاشقة عباءتها وترحلُ...
حين تفضحها ابتسامتها الخجولةُ..
يجلسان بمقعد عند الحديقةِ
يضحكانِ
يقهقهانِ
يعبئان الجو بالضّحكاتِ

* * *

مرت نسمةٌ فتعانقا
أرأيت كيف تعانق الحلمان؟

# غبار ليلة قديمة

وحده الليلِ ينفض معطفهُ ويذرّ غبارا على السقفِ
يصعد طفلٌ ـ تأخّر عن نومه ساعتين ـ إلى السطحِ
يرسم دائرة بالطباشير بيضَاءَ
ثم يعود ليندسّ في حلمهِ
قد تعود العفاريت من عرق في الوسادةِ
من حجر السورِ
من دمية القشّ أهملها فوق كرسيه الخشبيّ
العفاريت مثل العناكب تخرج من ظلمة الركنِ
نقرِ الأصابع...
ـ ذاك الذي يقطع الصمت مثل الرغيف وينثره كالفتاتِ ـ
تحطّ حمامة حلم على حذرٍ
ثم تمضي بلا رجعة نقطة في الفضاء الرماديّ
حين يفاجئها بالحقيقة نهر الرصاصِ
ولا باب تخرج منه إلى شارع في الصباحِ
ولا طيف نافذةٍ
كي تشمّ رحيق الغماماتِ
حين تمرّ معطّرة بأريج الشتاءِ

هنا الوقت زنجيّةٌ
تدخل البيت كلّ مساءٍ بكامل زينتها
لا تكفّ عن الدورانِ
هنا.. وهناكَ
على العتباتِ
وفي باحة البيتِ
في غرفة النوم
تعلق كالظلّ في السَقفِ
ترتاح عند الوسادة شيئا من الحلمِ
ثم تعودُ...
تدقّ بلاط السكون بكعب حذاء من العظمِ
أتبعها دقة... دقةً
وأقول : (لعلّيَ أدركها عند منعرج يائسٍ)
ثم أغفو بلا رغبةٍ.....
هكذا تنقضي الليلة الساهرهْ...

# تراتيل الليل

ينقضّ عليك الفجر وأنت على أنقاض سريرك منبطح
ينقضّ كذئب مفترسٍ
لا نوم الليلة، لا أحلام هادئة تسّاقط من سقف القرميدِ
ولا تدري.. هل أرقٌ هذا النائم قربكَ
أم أحصنة أفلتها حوذيّ الليل، فراحت من ذعر تتصافن
فوق فراش الصوفِ
الضوء بساق واحدة يتناضح من شرفات مظلمةٍ
ويحطّ بآنية في الركنِ
وأسأل : ( كيف تركت الشارعَ ؟
كيف البحرُ؟)
(أما زال البحّار يلوّح للأمواج بكفّ راعشةٍ؟)
أتعلّق فوق جدار الفهم، وأسقط مثل لحاء الشجرِ اليابسِ
مبهمة هذي الكلماتُ... الضحكة مبهمةٌ
وأنا منديل مرتجف يترنّح فوق حبال الوقتِ
(ألوّح للأشياءِ
ثمّة غيمةٌ، على غير ما أرجو تحطّ على بابي
طريق إلى ما لست أدري طريقها
وشمس تدسّ الجمر في ثلج أعصابي)

عسس في الشارع منتشرونَ
إذن... لن أبرح سطح البيتِ
أظلّ هنالك منتظرا، فلعلّ القادم أجمل
تلك شآبيب الكلمات تنزّ على صحراء القلبِ
القلب إذن خضلٌ كبحيرة ماء ساكنةٍ
من عكّرها ..؟
من ألقى طين أصابعه ..؟
من أخفى نرجسهُ ..؟
من...من ؟
سأصدّق أنّ ملائكة عبروا
أنّ امرأة تغتسل الآن بضوء منكمش في الضفّةِ
مرّ سريعا هذا الطيفُ
(تلفتتُ صوب الظلِّ.. قلت: ( تركتني وعطرك منقوش
بطيّات أثوابي
يطمئنني
حدّق ففي الظلّ وهجها
وفي ضحكة خجلى تدقّ على بابي)
وأنا المهووس بعطر أنوثتها
المحمول على صلبان الرغبةِ
أسأل : (كيف يجئ الفجر كذئب مفترسٍ ؟ )
شيطان أحمق هذا الفجرْ

# بوصلة الرّوح

وكأن بوصلتي تشير إلى الجنوبِ
الأرض يائسة من الدورانِ
لكنّي أسيرُ، وكلّما قلتُ اقتربت أعود أدراجًا إلى قفر البدايةِ
مثقلا بفواكه الخيباتِ
قال معلّم الفيزياءِ: ( لو تفاحة سقطت، تراب الأرض
يحضنها)
ـ فراش دافئ هذا الأديم كحضن عاشقةٍ ـ
ولكنّي المعلق كالغبار على أظافرها، أفنّد كذبة الفيزياء
والكيمياءِ
كان الوقت بعد ظهيرةٍ
(بالضبط يرسم عقرب البندول ثالثةً ونصفا)
ليس من سبب لأبرح غرفتي
فالرّيح ساحرة تحكّ بمخلب في كفّها اليسرى غمامًا حطّ في
ظهر السماءِ
وباليد اليمنى تشير إلى حماماتٍ تحاول أن تقرّ على عواميد
الإنارةِ
تلك واحدةٌ... وأخرى ... ثم ثالثةٌ

فتحصي سبعةً
وأظنّ أنّ حمامة أخرى ستأتي حين يخذلها الفراغُ
لعلّها مثلي
لعلّي مثلها
نجمان ينطفئان في عطش المدار اللولبيّ
فهل سنهبط مرةً للنهرِ؟

* * *

أنظر عبر نافذتي إلى الغرب الفسيحِ
الظلّ أعمى
الشمس عارية تمسّد فخذها بغمامة كالقطنِ
والأشجار عاريةٌ
وعاريةٌ
وعاريةٌ
خواء رابض كالذئب في عشب السكينةِ
ذلك الباب المشرّع في العراءِ
أكنت أنتظر ـ احتمالا ـ أن تعود حبيبة أهملتها في أوّل
الفجواتِ
ليل واقف بالبابِ
قرصان يسفّ الغيمَ
لكنّي هنا لصق على جُدُر الزجاجِ

فربما حطت حمامتيَ الأخيرة فجأةً
فالوقت بعد ظهيرةٍ.

* * *

هل قلت بوصلتي تشير إلى الجنوبِ؟

# عمر الغمام

تلك المصابيح لكن لا أرى مدنا
ولا طريقا إلى أبوابها يُفضي
لا ماء، لا ظلّ، هذا الدرب منحدرٌ
رخوٌ، دم نازفٌ، جرح على الأرضِ
أنا على النهر حافٍ، نصف متزنٍ
كأنّ بعضيَ محمول على بعضي
لاشيء .. حتى عيون الماء ناشفة
شجيرة التوت تلك الـ نسغها نبضي
جفّت وأطعمها للريح قلب فتى
شيخ ترجرج بين الحبّ والبغضِ
لم يبق منّي سوى طيف يشابهني
كالشيخ يبدو، كطفلٍ يابس / غضِّ
أكون أخطأت في التحديقِ ..؟ ربّتما
أنهكت قلبي بين الغيض والفيضِ
تمضي الدقائقُ، يمضي الحبُّ، عطر دمي
يمضي، ويمضي الصدى، والليل لا يمضي

# ساعة المكان

في (الطريق الجديدة) لا تسأل العابرين عنِ الوقتِ
ساعاتهم منذ هذا الصباح معطّلةٌ
مثلما تتيبّس شمس على شرفةٍ
(وهنا لا أريد المجاز، أقول الحقيقة كاملةً)
أنت في الشارع الآنَ
أنت إذن لحم هذي البناية أو تلكَ
أنت امتداد لهذا الهباء الرماديّ
هذا الرصيف المغمّس في الظلّ منذ الولادةِ
حبر الرطوبة مندلق من شقوق النوافذِ
أقمشة تتكدّس في واجهات المحلاتِ
أنت إذن في الطريق الجديدةِ؟
حرف تكرّر في لافتات مذهّبة أكلتها الطحالبُ
دكانة للعطارة أنتَ
ورائحة الزنجبيلِ
(الطريق الجديدةُ)
ذاك الرصيف الذي يتناقص حين تفاجئه نسوة بالعبورِ
فيكشفن سيقانهنَّ

عواء المغني على صخبٍ
واستقامة درب على أهبة الإعوجاجِ
فراغ هو الاكتظاظ
وقوف كهرولةٍ
هل عبرت (الطريق الجديدةَ) هذا الصباحْ؟

# ملامح

وكـأنّ شيئـا ما تغيـّر، ربّمـا
قزحيّة العـين، الزقـاق، الجامعُ
صفصافتي الخضراء، عطر حديقتي
بوّابة المقهى، الرصيف، الشارعُ
أنا لم أعد مثلي، تكلّست الخطى
ووقفت، لا أمشي ولا أتراجعُ
طفلٌ وإن ضحكت عليّ مفاصلي
وامتدّ في جلدي خريف جائعُ
مطرٌ بلا مطرٍ، غمامٌ ناشفٌ
كمّاشة في الحلقِ، ضوء خادعُ
ما عدت أعرفني، كأنّي لم أكن
يوما أنا ذاك البريء الوادعُ
في كلّ زاويـة أراني واقفـا
خطـواتي البلهاء لا تتقـاطعُ
فأنا الذي في الفجر عطر غمامةٍ
وأنا الذي في الليل طرفٌ دامعُ

وأنا نقيع الشمس حين تلوح لي
وأنا الذي في الطينِ، ظلّ ضائعُ
وأنا هنالك لم أعد كأنا هنا
وهناكَ ... عن أيّ (الأناتِ) أدافعُ

# شعور الإسمنت

البنايةُ ـ شاهدة الزورِ ـ لم تعترف للهدوء بأنّ الذي مرّ من
ساعة تاركا صخبا كأزيز المطارات كان أنا...
واقع الأمر أنّي سعيدٌ
سعيد على غير ما ألفتني مرايا الصباحِ
لذا سوف أقتلع الوجه منها
سأجبرها أن تراني كما يرغب الآخرونَ وأرغبُ، شمسا
خرافيّةً
السيارة كتلة ضوضاء تجتاز هذا الممرّ المضمّخ بالصمتِ
صوت المحرّكِ
إيقاع فيروزَ يطلع مرتخيا من مكبّرة الصوتِ
(نسّمْ علينا الهوا)
والهوى كالهواء ارتعاشة كفٍّ
وتلويحة العاشقين بباب اللقاءِ
لأني سعيدٌ حملت دمي سلّة من فواكه طازجةٍ
وعبرت إلى الضوءِ
دغل من الضحكات يحاصرني
فالصباح الذي كان يأتي بطيئا أراه يهرول فوق الرؤوسِ

الجرائد تلبس ثوب المهرّجِ
.. تُضحكني
فأقهقه، حين أطالع من صفحة الوفيات كلاما طريفا
لأني سعيدٌ ... سأقرأ شعرا سخيفا
سأقرأ أسخف ما كتب الشعراء الرديئونَ
(نبض الحشاشةِ، كأس الغرام، الشغاف) الكلام القديم
المرسكَلَ
أقرأ ما ليس يتعبني
ما يعلّقني بين قوسين من فرحٍ وهباءٍ
لأني سعيدٌ... تفاجئني الكلماتُ الجميلةُ
تلك التي كنت ألمحها في حقول التعابيرِ
رافلة في فساتينها الحمرِ
تعرفني الآن، تضحك لي، وتبادلني النظرات بلا خجلٍ

* * *

في المساء رجعت إلى قلعتي
كان حزني متكئا عند باب البناية كالشيخِ - نفس البناية
شاهدة الزور-
قال:( انتظرتكَ .. أين اختفيتَ ؟ .. لماذا تأخّرت عنّي ؟)

# مع صاحب
# يفسد نكهة القهوة

يتساءل النارنج : ( من أعطى الفسيلة ومضة البلّورِ
هل قزحٌ أناخ بقوسه فاسّاقطت حلقاته بقعا ملوّنة على
جلد الحديقةِ؟
لعبة الكيمياءِ؟)
قالت دوحةٌ ـ طفقت تحرّك فرعها المكتظِّ ـ:
(هذا النسغ من عرق الشتاءِ
ومن بكاء غمامة لم تألف الترحالَ
تلك خلاصة الغيمِ
الشتاء رطوبة تمتدّ في سغبَ الجذورِ
وخلطةُ اليخضور (ذاك الأخضر المزرقُّ)
شمس عذبة تندسّ في جلدي
الفصول تعاقبت لأكونَ
لكنّي سأنتظر الربيع، وأرتدي فستان عرسي)
قال لي الفلّاح :( تلك سنابل القمح التي في الحقلِ
هل كانت ستولد لو تأخر موعد عن فصلهِ)

قلت: (القصيدة مثلها
لا فرق بينهما
الفسيلة أصبحت دغلا سماويا
ويخطئ صاحبي
ـ بهدوء صوفيّ يسفّ لفافة الـRothmans
يشرب ربع قهوته البرازيليّة السوداءِ في فنجانه الصينيّ ـ
يخطئ حين ينبش تربة الكلمات بحثا عن بقايا جدّنا
(الأعشى)
يقول : أُريكَ جينات (امرئ القيس)
اكتشفها في انقلابات الحروف على الحروفِ
كأنّني أبصرته متعلقًا برداء روميّ،
يؤلّبه على دمهِ
القصيدةُ ـ قلتُ ـ نافذتي
سأفتحها مدوّرة كما تتداخل الحلقاتُ
ثمّ تعود مفردة بخدعة ساحر في السيركِ
سابحةً فلا ترسو بقافيةٍ
كأنّ رويّها لصقٌ بأوّلها
القصيدة فرحة الكلمات بالكلماتِ
إيقاع السكونِ
وحكمة المجنونِ
يخطئ صاحبي

# ميدوسا

أحترق الآن كشمس ساخنة تتكوّر ما بين القضبانِ
أمدّ يدًا عمياء لعلّي ألمس ركبتها
لكن تراب السجن خفيضٌ
مثل حصير أسفلتيّ أهمله السجّان بقعر الحفرةِ
أحجار تتصاعد واحدة فوق الأخرى
وتسدّ الردهة ما بيني والساحلِ
(ثمّة ما يدعو للريبةِ)
قال الرّابض ـ مثل صديدٍ ـ منكمشًا في الركنِ
فقلت: (الريبة في وضح الأشياءِ..
الرّيبة ثوب يقين متسخ برواسب عالقة من عرق الخوفِ
ومن ملح الحرمانِ...
فلا تنزعهُ.. اندسّ بجلد الصوفِ ولا تفتح أزرار الصدرِ
الغرفة باردةٌ...
لن تلمس لحمك رعشة إيمان واحدةٌ)
نَفَسُ القارب شيء من أعشاب البحرِ..
ورائحة المازوتِ

الموجة سبعة أمتارٍ
جبل يترنّح كالمطاط ويحجب عن عينيّ الساحلَ
(هل سنموتُ ... ؟)
وأسألُ... هل كنّا أحياءً قبل اللحظةِ...؟
هل أبصرت حياة خارج هذا القبر البارد قبل اليومِ؟
أثمّة فرق لو تأتي أحصنة الموت سَراعًا
فوق جناح اللحظة
أو تأتي عرجاء على أطراف أصَابعها؟....
الوقت الآن ظهيرة سبتٍ
لا أتذكّر تحديدًا... كل الأيام سواسية في عرف البحرِ
ولكنّ المذياع يقول (اليوم ظهيرة سبتٍ)
يوم فوق العادةِ
يومٌ... رقعة حبر داكنةٌ
وأنا ما بين الموجة والأخرى
أترقّب موتا لا كالموتِ
أجذّفُ ... أنصب أشرعة خرقاءَ
يقول شريك الكفن القادمِ: ( قد أنهيت الرحلة قبل البدءِ...
الآن وصلنا باب العتمةِ)
قلتُ: (سيلفظنا جثتا كاملة هذا البحر الأدردُ...
سوف نكون كأحياء بين الموتى...
لن نُتعب شخصا بالتحديق بسحنتنا...

لن نمكث في المشرحة طويلا
يكفينا خبر مقتضب في الأنباءِ
سنُذكر بالأسماءِ
ـ فلانٌ نجل فلانٍ.. كان يجوب الشارع كل صباحٍ
يشرب قهوته المعتادة خالية من طعم السكّرِ ـ
لن يُخطئنا الدفنُ.. سيدخل كلٌّ حفرتهُ
هل ثمّة فرق عند الموت أكنتُ أنا أم كنتُ سوايْ؟

# الوردة تحكي ما تيسّر من الموت

لن أبرح نافذتي..
أتوقّع أنك تفهمني.
وتصدّق لو أخبرتك أنّي ما غادرت الغرفة منذ أتيتُ
كأنّ حبالا غامضة تلتف على رأسي
وتثبتني في جذع السّروةِ
هل تتذكّر تلك السّروة؟
..!لا تتذكر
ليس يهمّ، فثمّة أشياء تتورّم مثل عجين الخبز بذاكرتي
أشياء تافهة حمقاءُ
كأنْ أتذكّر أني منذ ثلاثة أيام لم تغمض لي عينٌ ـ مثلا ـ
فنجان القهوة ـ هذا الصبح ـ بطعم الزعترِ
!.. كوب الشاي
قطار الفجر العابر قرب فناء البيتِ، تأخّر سبع دقائق
بالتحديدِ..
الغرفة لم تتغيّر منذ أتيتُ.. نتوء منتفخ في ظهر الوقتِ

رياح جائعة تتناوح عند البابِ
المطر يحطّ كعصفور عند الشبّاكِ
الغيم الدّاكن يسقط مثل نديف القطن على الطرقاتِ
القمر الرّابض خلف الغيمةِ...
هذا القمر العابس أعرفهُ
كم كنت أراقبه، يتعرّى عند النهرِ
ويغمس ركبته في الماءِ...
تفاجئني في الأفق سنونةٌ
فأشيح بوجهي ـ لا خجلا، فالفتنة أكبر من أسمال الحشمةِ...
لكنّي أخشى أن يرحل هذا الرافل فوق مداد النهرِ
ويتركني لليل الموحشِ ـ
فزّاعات القشّ تجوب الحقل كأشباحٍ
فالعتمة لاصقة بالعتمةِ...
منذ ثلاثة أيام لم أبرح نافذتي
أتقرّى في صمت أزهار النرجس والخشخاشِ
الحقل بعيدٌ..
عطري مقتضبٌ..
ولساني أعرج ليس يجيد الرقصَ... أتفهمني؟
هل تفهم كيف يكون الموت بطعم السكّرِ؟
كيف الوردة منذ ثلاثة أيام في كوب الماءِ؟
لأني الوردة أعرف كيف يموت الحقْل..

# ربما ...

«عن ظهر قلب رحت أحفظُ
ثم أحفظُ
ثم أحفظُ..
لا يهمّ أكنت أفهم، أم تمر برأسيَ الكلمات فارغة من المعنى
السماء كثيفةٌ..
مطر نحاسيّ يزقزق فوق ألواح الزجاجِ
الدرب مفتوح على ما لست أعلمُ
كالمتاهة حين لا تفضي إلى شيءٍ)
تقول وكفّها البيضاء تمسح ما تعلّق من نثيث بارد في
صفحة البلّورِ....
هل أخطأتُ في فهم القضيةِ؟
ربما
فأنا كأنتَ... العمر لا يكفي لنفهم درسنا
عن ظهر قلب نحفظ العثرات
ربتما ستولد غيمة منّا
وربتما نكون الشارعَ المفتوحَ إن ضاق المكان على المكانْ

# متشابهات

يستوي الأمرُ
لاشيء يختلف الآن عن ضدّهِ
فالصباح / المساءُ
الطريق إليك عموديّةٌ
غير أنّي إذا ما انزلقت سألقاكَ في كعب منحدرٍ
أنت.. أنتَ
زجاجة عطر على الرفِّ
أم غصّةٌ
لا تهمّ التفاصيلُ .. فالكلمات هي الكلماتُ
مجوّفة... تتقافز مثل الضفادع في بركة الوحلِ
عارية من تقاسيمها...
الظلّ أعرج.. فحم على الأرضِ
وجهٌ لصاحبه كلّما ضاعف الإنحناءَ...
الطيور التي تخرق الغيم والأرض واحدةٌ
الغرابُ / سنونوة الحيّ / فرخ الدجاجِ

ولا شيء غير اليباسِ
كأنّ الخريف استقر على الأرض بركة فحمٍ
كأنّ الهواء الذي نتنفس صنارةٌ
كلّما التصق الشصّ بالحلقِ
ترتجف الحشرجات مخضبة بالهباءِ
ولا شيء غير الرّمادِ
يهوذا الذي في الرواق الأخير يلمّع قبلته كالحذاء القديمِ
فلا تتعجّل... ستسحبُ للصلب قبل اكتمال القصيدةِ
أنت الذي أنتَ.. في الطين، في الغيمِ
في مغنطيس الشمال/ الجنوبِ
وفي الشرق في الغربِ....
قلتَ:( الطبيعة صامتةٌ...
كيف يكتمل الخلقُ، والضوء أقصر من طرفة العينِ؟
كفّك عاجزةٌ...
لا أرى علب الأكريليكِ.. ولا دارة اللونِ.. لا عدّة الرسمِ)

* * *

لا بأس فليكتملْ بالرصاصْ..

# إسياخم

سنخون مدينتنا الرقطاء كأفعى جاثمة في الجحرِ
سنطعنها بخناجر باردةٍ
هل يكفي هذا الليل الآثمُ؟
هرولة الأرقام على بلّور الساعةِ
هل تكفي لنخبئ جثتها في ظهر الوقت وفي رمل النسيانِ؟
لأن الحكمة ساذجةٌ..
سنمشّط طابور الكلماتِ
سنفتح تجويفا لغبار الشكِّ
لأن الحكمة ساذجةٌ..
نتسكّع في طقس المعنى
ما بين بهاق الحرف وآنيميا الألوانِ...
على دكّان ـ منتصب في آخر منعطف ـ أسندت دمي
وطفقت أعدّ الخيبة واحدة بعد الأخرى
لكنّ (محمد إسياخمْ) يتوقف عند البابِ
ويسأل: كيف انفجر اللغمُ ؟
اللوحة داكنةٌ

أشباح فرّت من عثرات اللون وفلسفة التجريدِ
معفّرة بدخان الفحم ونتن الأكريليك البائسِ
هل أبصرت نبيًا يخرج كالكابوس من الأصباغِ؟
اللوحة شاحبةٌ
ومحمد عند الباب يدخّن غيمًا، ينفثه فيساقط نملا زنجيًا
ودمامل في الطرقاتِ..
ويسأل: كيف انفجر اللغم إذن؟
لا أذكر شيئا...
أطفالاً كنّا في الساحة حين انقضّ علينا الموت كذئب
مفترسٍ
لم يترك لي وقتا لأعانقني.. لأموت بحضني
الموت الجائع أنكرني
خلّفني قبرا مفتوحًا يتحرك ما بين الأحياءِ
أكون نبيّ الموت أنا؟
بذراع واحدة أحيي الموتى، وأشقّ البحرَ؟
اللوحة قاتمةٌ
ومحمد عند الباب، أراقبه، أتسوّر نظرته وأقول:
(لعلّك تشبهني... لكنك لست أنا)
سنخون مدينتنا
سنخون الصخرَ
الطينَ
الماءَ

الرملَ
البحرَ
الجسرَ
نخون الشارعَ والمقهى
أعشاش الطيرِ
الحقل اليابسَ
أعياد الميلادِ
بطاقات التعريفِ
تخاريف النوّابِ
العمر الواقف بالأبوابِ
السجنَ
دهاليز التعذيبِ
منصّات الشعراء المضحكة البلهاءِ
نخون أصابعنا
ونخون مفاصلنا
ونخون إناء الطينِ، أقانيم الأشياءِ
الروحَ
الفكرة
والجسدا
إسياخمُ....
مثلك أحمل سيفًا من خشبٍ وألوّحُ
أعدائي كثرٌ.. أكثر مما تتسعُ الأحقادُ

أنا مبتور الرغبة منطفئٌ
مرميٌّ كالتوقيع بذيل اللوحةِ
تشبهني....
لكنك لست أنا.

# راسبوتين

كاهنة تبوح لي بسرّها
أشمّه في موقد الفحم، الرماد، في البخورْ
يد على فراغها تدورْ
كأنّما دوريّ حقل كلما ارتاح إلى سنبلةٍ
تنشّه فزّاعة القشّ
غمامة على جناحه المكسورْ
كاهنة تسرّبت إلى دمي
وفي فمي تناسلت حروفها البلهاءُ
هل أكون شعرها؟
أم أنني تعويذة تساقطت من حجرها المسحورْ
تقول ما أقولُ
أم أقول ما اسّاقط من إزارها المثقوبِ
من عباءة الريح التي على جناحها
ترتجف الغابات والحقولُ
قلت: يولد الشاعر ميّتًا
دما على الشوارعِ..
الطلاسم
النذورْ..

الشاعر العائد من لوحات بيكاسو
ومن قصائد الحلاّج..
من أشباح غوغان
يصبّ غيمة على جنازة الوقتِ
العقارب التي على فراغها تدورْ..
الشّاعر الهائم في خلوتهِ
كأنّما حطّ على تابوته عصفورْ
الشّاعر الحزينْ
ملقى على الرّصيف كالحصى
كرقعة الإسفلت.. كالبنزينْ
كاهنة عمياء في مسامهِ
تصيح: ( يا مسكينْ
باردة أصابع الموتى
السماء قطعة من الرمادِ
غيمة من طينْ
آلهة تخرج من رداء Raspoutine
والكوكب المهجورْ
ملاذك الأخيرْ...

# جوكندا بالأبيض والأسود

وشم تفجّر فيك فانتفض الدم الممسوس أزرق مثل ماء
البحرِ
يسلخ جلدكَ الهذيانُ
ينشر كالغسيل على حبال الدهشة الكلماتِ
والكلمات – لا تبدو كما الكلمات.... –
مالحةٌ، وحامضةٌ، وعالقة بفخّ اللكنة البكماءِ
نافذة تحدّق في جدار الفحمِ، تفتح صدرها لدم تقطّر من
جناحَ غمامةٍ
سيخونها القمرِ اللعوب غدا
سيلقي خصلة للنبع هادئةً، وأخرى للجبال الغضّة
الخضراءِ....
كان الليل يكنس ما تعلّق من غبار الشمس فوق الأسطح
الملساءِ
حين بدا القتيل ممدّدا فوق السرير الأبيض الكفنيّ منذ
قصيدتين
الأبيض المسودّ فوق إطار لَوحته (الجوكندا)
الأبيض المسودّ في ضحكات أنثى

في صباح بائسٍ
في البحر متكئا على جبل يدخّن موجة شهباءَ
ينفث روحها فوق الرؤوسِ
سحائب بيضٌ، هواء مالحٌ، ومدجّج بالتبغِ.....
كم ستظل وحدك في الطريقْ؟
حتى الطبيعة لم تعد ذاك الصديقْ...

# الحبّ في مفترق الموت

عبق المصافحة الأخيرة غير ما ألفت أصابعنا
كأن جميع أشرعة الرحيل تعلّقت بين الخليّة والخليّة
فافترقنا...
ربما سنكون أقرب لو تباعدنا قليلا
مثلما قطبان للحجر الممغنط..
قلت : (كيف نكون أقرب في التنافر؟..)
إنني في هذه الزنزانة، القبر الجليديّ الذي خلّفتني..
لا أذكر الأشياءَ
لكني سأذكر كيف كنا نمنح الخطوات إيقاع البداية كلما
سرنا على حقل التوحّدِ..
مبهم هذا الصباحِ/ الليلُ..
هذا الأسود الملتفّ مثل عباءةٍ
وشوشت نافذة تعلّق في جدار الفحم ضوءا خافتا:
(ماذا وراءكِ؟ .. ما الذي تخفين خلف زجاجك الفضيّ ؟
نهرا كاذبا؟..
أنصاف أسئلة، وأجوبة كأقزام الخرافةِ؟..
شاطئين يأرجحان العمر بين حقيقتين،
ويصرخان كأن قرصانا على الجسد المسجّى ؟..)

كان حبل الضوء يسقط مثل مشنقةٍ،
فأتبعهُ، يسلّمني إلى حمّى بأجنحة اللقالقِ
حين أسقط..
أو أطارد وهج طائرةٍ تعلّق في رصيف شاحب خيطا رفيعا
من نديف القطن
(أين تغادرين، وقد حفرت على جناحَك ما تأخّر من تراب
في طريق التلّة الجرداءِ؟..
أيامي التي كانت بلون الفستق الحلبيّ ؟..
شرفة منزلي المفتوحة العينين ؟..
مقهانا التي كانت تعبّ الشمس في يدها
وتعصرها كحبّة برتقالٍ؟...)...
مثقل جسدي كأنّي سلّة عبأتها بفواكه الخيباتِ،
أبصر ما تضيّعه العيونُ
أشمّ عطر الضوء حين يمرّ متكئا على جلد الجدار كأيّ
وشم ناتئ القسماتِ
هل تتذكرين عقارب الساعاتِ
كيف تدور مسرعة متى كنّا معا؟...
كان اللقاء كومضة عجلى
أجبتك حينها: (سنعيش ضعف حياتنا بين المحطّات
الكئيبةِ والحقائبِ)
لم تردّي...
كنتِ مثل حديقة مزهوة بقرنفل يخفي توجّعه بضوع هارب

من حمرة البتلاتِ....
لكني حزمت حقائبي.

# لاعب الورق

هل يكون اسمه الحظ هذا الذي يتعهّدني منذ هذا الصباح الثقيلِ

كأنّا على موعدٍ

هو لا يشبه الحظ ... لكنه سوء حظ برجلين عاجزتين

ورأس معصّبة بالبذاءة والترّهاتِ

أقاسمه نَفَس التبغِ

والغمغمات المقيتةِ ... ماء التذمّر والقهرِ

طاولة صقلتها الأصابعُ

في ركن مقهى رخيصٍ

هنا ... بردت قهوتي

أتلصّص كي أقرأ الحظ في ورق اللعْبِ

أفرغت كلّ جيوبي

وها أنذا لست أملك إلا الذي يستر اللحمَ

ها أنذا أخلع الساعة الفضّةَ

الآن لم تبق إلا الدقائق صالحة للمقامرةِ

الورق المتحرّش باللمسِ، يجري .. يدور ولا يستقرّ على رابحٍ

قهوتي بردت

والعيون التي انفتحت كالفناجين حمراء

لا تقرأ الغيبَ

و الكفّ عمياء عمياء

إنّي هنا منذ بدء الخليقةِ

طاولة الركن واحدة

وضباب الدخان المدجّن باليودِ

أبخرة الشاي فوق الرؤوسِ

نقيق الزبائنِ

والنادل الجهمُ

إنّي هنا واقفٌ .. ورق اللعْب بين الأكفّ يدورُ

العيون تدورُ

السماء تدورُ

ورأسي تدورُ

سأنسحب الآن ..... إنّي خسرتُ .

# جولة صباحية

متشبها بالماء أنزل من سماء الله مرتطما بأحجار الطريقِ

الفكرة الحمقاء ناصيتي

دليل الرحلة البلهاءِ

هذي الأرض مذأبةٌ، ومملكة الشياطين المقدّسةُ

انفراج موغل في العالم السفليّ

هذي الجنة التي اكتشف القراصنة الفنيقيون

يخطئ عالم الآثار حين يرتّب الأشكال للمعنى

ولا معنى لهذي الهمهمات

كأنّ إنسانا يطارد أيّلا في غابر الأزمانِ

(لا ندري من المتوحّش الإنسان أم هذا المعلّق في جدار الكهفِ)

أنزل من سماء الله أبيض ، حاملا قلقي كنجمات معلّقة

بقمصان المساءِ

اليوم عطلة آخر الأسبوعِ

منتشيا بما ألقيت من تعب على كتف السريرِ

خرجت نحو الشارع القفر الرماديّ

الزقاق معبّد بالصمتِ

هذا الجسر لا يفضي إلى شيء

كأنّ الدرب منكمش على الخطواتِ

في وضح الفناء العام، أين محطّة التراموايِ

حيث الناس أرقام مدوّنة على ورق التذاكرِ

يجلس الغرباء مثل صفائح القصديرِ

يسأل عابر عن دورة الماءِ

المسافة بين ما ترنو إليه وما تراه بعيدة كالأطلسيّ

ولا سفائن غير ما ضيّعت في الجزرِ

استندت إلى جدار باردٍ

كان الصباح يرتّب الأشياءَ

لا تبدو كما يجبُ

الهواء مدجّج بروائح المازوتِ

والعينان مغمضتانِ

أدخلُ في التفاصيل الدقيقةِ

في ممرّ الراجلين،وفي عواميد الإنارةِ

في القمامةِ، في فضاءات التسوّق في الفراغِ

ولا أرى ما يشبه المدنَ

الحياة كأنها موت، وهذا الدرب مقبرةٌ

فمن أيّ الجنازات المقيتةِ

يولد الوطن المسافر في غبار العائدين بنعشهم خال من الإنسانِ ؟

سوف تقول أمهلني لأصعد من تنفسك اعتلالا يعصر الرئتينِ

حمى في المفاصلِ

غنغرينا في الطريق إليكَ

أمهلني، أنا وجع التساؤل فيكَ

خيبتك التي أدركتَ

طيش الأربعين، أنا حضورك والغيابُ

.....

نسيت في هذا الصباح السترة الصوف

الجليد يدسّ منقارا من الفولاذ في كتفي

نسيت الهاتف الخلويّ، أوراقي وقرص الفولترين

الشارع المأهول باللاشيء يسحبني إلى طين العمارةِ

وحده الضوء الهزيل يرشّ أقواسا من الظلّ

انحناءات على الشرفاتِ

يدخل عنوة في القبوِ

يدخل قاتلا كالنصل في لحم الضحيّةِ

خدعة بيضاء مثل الخبز دون موائد الفقراءِ

رائحةٌ (مزيج البنّ والعفنِ) ارتمت في الجوّ مثل أصابع البَارودِ

بكتيريا تعشّش في الهواءِ

.....

تقول تشبهني، وتجزم أننا نصفان

أنّك وجهيَ المدفون في المرآةِ

أنك جثة مثلي بأبعد غيضة تستعطف الغربانَ

لكنّي أراك بأعين القهر الكفيفةِ

غيمة، وحجارة مرصوفة في الحلقِ، منفاي الأخيرَ

اليوم عطلة آخر الأسبوع، أنزل من سماء الله منتشيًا

فهل سأعود منتشيًا ؟

# عازف المندولين

يتردّد لا يستقرّ على وترٍ
عازف المونـدولين
كأن أصابعه اكتشفت فجأة لسعة اللحن فارتعشتْ
لن يكون الغناء كعادته لزجا يتسلل بين الشفاهِ
إذن .. سوف يقبع في صمته
هادئا كذباب يحطّ على عسلٍ
الرياح تئنّ على الجسد الخشبيّ
بلا رغبة يسحب الكلمات إلى حافة النهرِ
عرجاء، تقفز مثل الضفادع
شاحبة كالمساء الحزين تحطّ على صدرهِ
يتنحنحُ ... تخنقه ربطة العنقِ
تخنقه رغبة في البكاء المريرِ

ولا يجد الدمعَ ... لا يجد الدمعَ

هل جفّف الضغط آباره الإرتوازيةَ ؟

السكريّ .. الأنيميا .. غسيل الكلى ؟

قنفذ الموت .. ذاك الذي يترصّده في زوايا الزوايا

يفتّت أشكاله الهندسيّةَ

في غرفة النومِ .. في باحة البيتِ ..

باب العمارةِ .. حوض التواليتِ

وهو يجرّ مفاصلهُ .. أو يقلّب أعوام ألبومهِ

أو يعدّل طاقية الفونوغراف القديمِ

ليطلع من جوفه اللحن منكمشا مثل قشرة موز على الأرضِ

أعمى يجسّ الشوارع .. يمسحها بأصابعهِ ...

عازف الموندولين

النبيّ الذي أهملته النبوءات

لم يبق منه سوى حسرة كالرمادِ

يد سلحفاتيّة تتوسّل آلته الخشبية

بخّاخة الربو

لحن تفسّخ في جعبة الميكروفون

سيعزفه مرغما ...

ويموتْ ...

# الموجة التاسعة

أو ليس خيرا لو حملت حقيبة ومضيت منفردا إلى البحر الكئيبِ ؟

الموجة البيضاء لا تأتي لتذهب، مثلما يتوقع البحارُ حين يدسّ زورقه بقلب الماءِ

لن تصطاد أكثر من محار فارغٍ

ستقول : " إن البحر خاصمني "

وتقسم بالتي تركت للغيلان، أنك لن تعودَ

الموجة البيضاء ساحرةٌ

أصابعها الطرية لا تهشّ غمامة مثل الرصاص تطل من أفق الخرابِ

الموجة البيضاء لا تأتي لتذهبَ

تستريح هنيهة

لتعود حاملة بذار الملحِ

تنثر ظلها في غربة الأثلامِ عرسا للنوارسِ

لا تنام كقطة بسطت على رمل الشواطئ فروها

هي قطرة الماء التي في القاعِ

أزعجها التورّط في الهدوء .. بلهفة تمضي إلى السطح المضيء

السطح أملس .. ما يضير إذا تعلّق يائس في شرشف الفستان؟

يأخذه بعيدا ؟

لا يهمُّ ..

يعود أم يمضي فيُمضي عمره فردا

كحبّار كئيب في مياه الأرخبيلِ

الموجة البيضاء شيء من نطاف الريح تتركه على الأفق الزجاجِ

رتابة التكرارِ

رقص واهنٌ

إيقاع حدّاد يدوّر حدوة بالطرقِ

آلهة ترش الارض باللعنات .. ماء واقف في الحلقِ .

هل يكفيك ما في الروح من سغبٍ؟

سأنزل فارغا للبحرِ

أنزل مثل بحّار على دقل يعلّق آخر الأوهامِ

أنزل كالرذاذِ ..

الموجة البيضاء برق ساقط من آخر الغيماتِ

عاشقة تهدهد صبرها المطعون ، تخدعه ببعض الانتظارِ

صراخ حوذي يروّض غيمة في أبعد الجزر البعيدةِ

لوحة في متحف تستنفر الزوّارَ

نبض فالت من قلب (إيفازوفسكي)

متشبثا بالقارب الخشبيّ، مفجوعا يعدّ الموجَ

واحدة

وثانية

وثالثة

وتاسعة

ويصرخ، ثم يصرخ ، ثم يصرخ

ثم يطلق ضحكة حمراء هستيريةً

يا صاحبي البحار هذي الأرض يابسة على الحلم الطريّ

فنم هنالك حيث أنت ... على صفيح الماءِ

نم ... واجعل دثارك تاسع الموجاتِ

نم ... فالأرض ضيّقة عليكْ .

# الموديل

ضاقت الأرضُ، والبحر ضاقَ، السماء التي اتسعت للجراد
المهاجر ضاقت

غمامات طين تدحرج صلصالها زبدا فارغا

والرؤوس التي امتلأت بالفراغ تضيقُ

ولاشيء يشبهك الآن غيركَ

أنت صديقكَ

أنت أنيسك في وحشة الصمتِ

في ركن مقهى قديم تقاسمك الشاي

تفتح جلدك للطعنات إذا ضاق جلدكَ

أنت الإله الذي يتمدّد فيك كبحر بلا ساحلٍ

.....

في الرواق الأخيرِ

الرواق الذي لا يؤدي إلى موضع ـ أو كما كنت تحسبُ ـ

حيث المشانق خضراء كالعشبِ

أنشوطة تتدلّى من الساعة الكهرمانِ

كمجنونة الحيّ تمضي الدقائق مشحونة بالبذاءةِ

صفراء ... حمراء ... سوداء

هذا الموديل الذي يتحرك فوق الأريكةِ لا يستقرّ على جسدٍ

كيف أرسمه ؟

كيف أخطف منه الملامحَ ؟

هذا الغياب الذي صار ماء الحضورِ

سيخرج من جبّة الأكريليك سماء رماديّةً ...

شجرا ينحني للتي عبرت مثلما يعبر الوقت هشّا ولم تلتفت

شجرا ينحني للتي خلّفت عطرها في يد الأكسجين

وفي الورق المتساقط من فروة السروِ

في عثرات الطريق المشاكسِ .....

مرّت وظلّ الغياب يعلّق قمصانها واحدا واحدا

كالعصافير فوق حبال التذكّرِ

هذا الغياب ..

الموديل الذي يتحرك لا يستقرّ على موضعٍ

كيف أرسمهُ ؟

كيف ..... كيف؟

# أسود

الأسود ليس الطيف الناقص من قوس الألوانِ

الأسود ليس الليل الرابض خلف الربوةِ

منتظرا ساحرة تخرج من أحراش الحقلِ

تعلّق قنديلا ويراعات في ظلّ السروةِ .... يبتسم السقف النجميّ

الأسود ... هذا الصبح المفقوء العينينِ

الأسود ليس طلاء منسيا في آخر صفّ في علب الألوانِ

النائم فوق فراشي الرسم

الواقف في خجل عند الخلفيّة في لوحات (خوسي دي ريبيرا)

الأسود لا يعني أن يصرخ زنجيّ في قلب العالمِ

ضدّ نظام الفصل (الأبارتايد) وقانون التمييزِ

الأسودُ ... هذا الرجل الأبيضُ

يغسل قيح سلالته بعبيد جيء بهم في مركب شحن مهترئٍ

الأسود ليس خيال الظلِّ ... الأسود ظلّ سنونوة تتخبّط في قفص العدمِ

الأسود .. حين تقول أحبك، ثم تغادر مثل شتاء قوقازيّ دون وداعٍ

أن تمضي فأراك بعين كفيف زاد بصيرته التذكارُ

الأسود .. هذي الأرض المذأبة الملعونةُ

هذا الوحش الآثمُ

هذي الرأس المقطوعةُ ...

صوت مرتجف (لا تقتلني يا عمُّ)

الأسود ليس الفحم النابت في موقد جمرٍ

في أبعد كوخ ملتحف بالبردِ

الأسودُ.. هذا الأبيض مرتقبا كالضبع الجائع في غرف الإنعاشِ

لباس الجثّة في أعياد الدفنِ

الأسودُ .. هذا الأحمر مرشوشا قطرات فوق جثامين الخرسانةِ

هذا الأصفر مشتعلا في حقل خريفٍ

هذا البحر الأزرق، مقبرة الغرباءِ

الأسودُ ..... ليس الأسودَ.

# الفهرس


الإهـداء.....04

حكمـة الثـور.....05

تـل الريـح.....08

صـوت الطـين.....09

كل شيء على حالـه.....10

الأبــواب.....12

الســاعة والحجر.....16

ظل عـلى الأبـواب.....18

عنــاق.....20

غبـار ليلـة قديمـة.....22

تراتيـل الليـل.....25

بوصلـة الـروح.....27

عمر الغــمام.....30

سـاعة المـكان.....31

ملامـح.....33

شعور الإسـمنت.....35
مع صاحب يفسـد نكهـة القهـوة.....37
ميدوسـا.....39
الوردة تحكي مـا تيسر مـن المـوت.....42
ربـما.....44
متشابهات.....46
إسـياخم.....47
راسـبوتين.....51
جوكندا بالأبيـض والأسـود.....59
الحب في مفترق المـوت.....56
لاعب الـورق.....58
جولـة صباحيـة.....61
عازف المندولـين.....66
الموجة التاسـعة.....69
موديـل.....73
أسـود.....76